Middle Eastern Culture & Religion Issues
E-ISSN: 2962-2476 | P-ISSN: 2964-0830
Volume 3 No. 2 (2024) Page 184-198

Ẓāhiratu at-Tanāṣ ad-Dīnī fī Riwāyah al-Qāhirah al-Jadīdah li-Najīb Maḥfūẓ: Dirāsah Waṣfiyyah Taḥlīliyyah

ظاهرة التناص الديني في رواية القاهرة الجديدة لنجيب محفوظ: دراسة وصفية تحليلية

Mohd Azizul Rahman bin Zabidin, Ebrahim Mohammad Ahmad Eldesoky
Arabic Language Department, Kulliyyah of Theology, Quranic Sciences and Arabic Language
Universiti Islam Antarabangsa Sultan Abdul Halim Mu'adzam Shah (UniSHAMS)
Corresponding author: azizul@unishams.edu.my

الملخص

يُقْصَدُ بالتناص الديني أن تتداخل مع النص الأصلي للرواية نصوص دينية مختارة سواء أكان من القرآن الكريم أو من الحديث النبوي الشريف بحيث تأتي منسجمة مع السياق الروائي وتؤدي غرضاً فكرياً أو فنياً. ولا يخفى على أحد أن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف من أهم المصادر التي استوحى منهما الروائيون القدامى والمعاصرون وأبرزوها في أعمالهم الإبداعية. ومن هنا، يهدف هذا البحث إلى تقصي ظاهرة التناص الديني في رواية "القاهرة الجديدة" لنجيب محفوظ قصد فهم سبب توظيفها في نصوص الرواية. وقد اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي الإحصائي. ومن أهم نتائج البحث: أن الأستاذ نجيب محفوظ قد تأثر بالثقافة الإسلامية تأثرا كبيرا حيث وظف العديد من النصوص الدينية من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في رواية "القاهرة الجديدة" بشكل كبير على مستويات الأحداث والسرد قصد إثراء النصوص الروائية لإنتاج دلالات جديدة. كما تشير النتائج إلى أن الكتابة الإبداعية في حاجة ماسة إلى مثل هذه الحيوية الأدبية من آلية تداخل واختلاط النصوص المعروفة بالتناص لأنها أداة مهمة وعملية لكل من المبدعين والقراء.

الكلمة المفتاحية: التناص، التناص الديني، القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف.

ABSTRACT

The concept of religious intertextuality involves the integration of selected religious texts, whether from the Holy Quran or the noble Prophetic Hadith, into the original text of a novel. These texts are carefully chosen to harmonize with the narrative context and serve a cognitive or artistic purpose. It is undeniable that the Holy Quran and the Prophetic Hadith are among the most significant sources that both ancient and contemporary novelists have drawn inspiration from, prominently featuring them in their creative works. Consequently, this research aims to investigate the phenomenon of religious intertextuality in Naguib Mahfouz's novel al Qahira al Jadida (Cairo Modern), intending to comprehend the reason for its employment within the novel's texts. The research follows a descriptive-analytical statistical methodology. Among the key findings are that Naguib Mahfouz was significantly influenced by Islamic culture, as evidenced by his extensive incorporation of religious texts from the Holy Quran and the Prophetic Hadith in al Qahira al Jadida. This influence extends to shaping the events and narrative structure, enriching the fictional texts to generate new meanings. The results also suggest that creative writing critically depends on such literary vitality derived from the mechanism of interweaving and blending known texts, known as

intertextuality. This process proves to be a crucial and dynamic tool for both authors and readers alike.

Keywords: *Intertextuality, Religious Intertextuality, Holy Quran, Noble Prophetic Hadith, Cairo Modern*

Article History: Submitted: 28 July 2024 | Accepted: 31 December 2024 | Available Online: 31 December 2024

المقدمة

إن التناص أحد المعايير النصية التي يقوم عليها النص (دي بوجراند، 1998)، به يكون الكلام نصا، وبدونه يفقد الكلام واحدة من أهم معايير النصية، وهو يمثِّل عملية استبدال من نصوص أخرى، ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى، وهذا يجعل بعضها يقوم بتحييد البعض الآخر ونقضه أو تفسيره وبيان غموضه. وعليه فيُعَدُّ التناص، في النقد الحديث، ضرورة لا غنى عنها في قراءة النصوص التي يستطيع القارئ من خلالها تأويل النصوص وتفسيرها. واللافت أن حضور التناص في الساحة الأدبية والنقدية المعاصرة قد شكل أهمية كبيرة بوصفه آلية جمالية لا تخلو منها أغلب الأجناس الأدبية بما فيها الرواية كونها تنفتح على خطابات متعددة، ويعد التناص الطريقة الأوفى لتأكيد أراء الأدباء وإثراء أعمالهم وإكسابها صبغة من الأصالة.

مفهوم التناص

يتّضح المقصود بمصطلح التناص عند جوليا كريستيفا (1997) حينما تذكر أن النص "ترحال للنصوص وتداخلٌ نصيّ، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى"، ولعلّ من المستحسن هنا الإشارة إلى أن جوليا كرستيفا في تعريفها للنص الأدبي لا تقف عند حدود القول: إنه عبارة عن لوحة فسيفسائية (عمر، 2008) ؛ بل أضافت: إن كل نص هو امتصاص وتحويل وإثبات ونفي لنصوص أخرى (بقشى، 2007). وقد قدّم دي بوجراند ودريسلر تعريفاً للتناص في ضوء عملية الإنتاج التي يريان فيها أن التناص هو "ترابط بين إنتاج نص بعينه أو قبوله، وبين المعارف التي يملكها مشاركو التواصل عن نصوص أخرى" (داغر، 1977).

ويضيف مارك انجينو قائلاً إن: "كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى، وبذا يصبح نصا في نص، تناصا، وبذا أيضاً، تنتمي الكلمة إلى الجميع لكونها تؤشر على فكرة مبذولة في كل دراسة ثقافية" (الزعبي،2000). ويعرف تمام حسان بأنه: "علاقة تقوم بين أجزاء النص بعضها وبعض، كما تقوم بين النص والنص، كعلاقة السؤال والجواب، وعلاقة التلخيص بالنص الملخص، وعلاقة المسودة بالتبييض، وعلاقة المتن بالشرح، وعلاقة الغامض بما يوضحه، وعلاقة المحتمل بما يحدد معناه، وهذه العلاقة الأخيرة هي المقصود بعبارة: القرآن يفسر بعضه بعضاً" (عفيفي،2001).

وانطلاقاً من هذا، يمكن القول إن: التناص يتحقَّق في النص عندما يتضمن مجموعة من النصوص السابقة عليها، بشرط أن يحدث تفاعل وتعالق في اللفظ والمعنى بين هذه النصوص المتداخلة. ويمكن تمثيل هذه العلاقة بالمخطّط التالي:

الشكل الرقم (1): مخطّط توضيحي للتعالق النصي

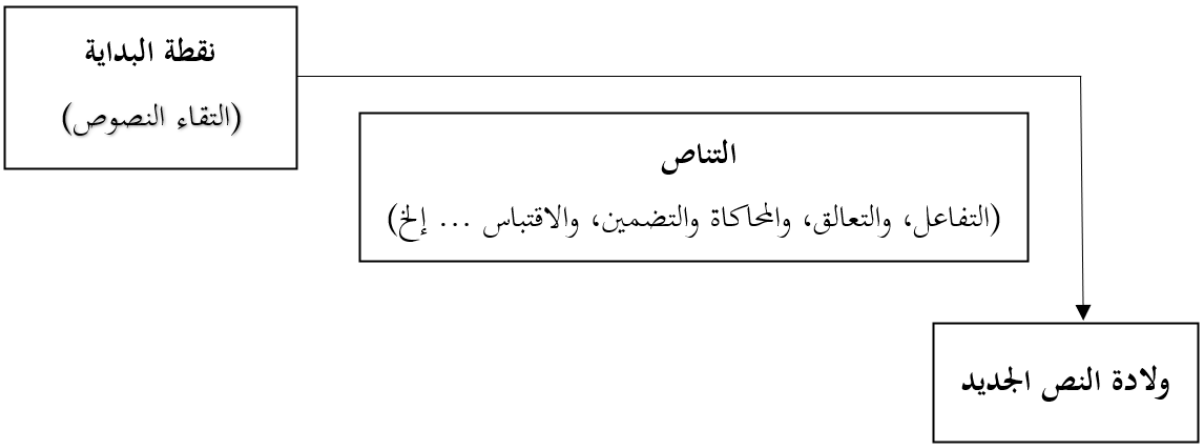

بإمكاننا، من خلال هذا العرض الموجز، أن نصل إلى نتيجة مؤداها أن كل هذه التعريفات السابق ذكرها، تسعى إلى التأكيد على أن التناص: هو تكرار وتداخل وتقاطع بين النصوص أو لوحة من الاقتباسات، أو سلسلة من العلاقات مع نصوص أخرى، أو نسيج من استشهادات سابقة. فليس يخلو نص من النصوص، حسب هذه الآراء التي سقناها فيما سبق عن ماهية التناص، من التماس مع نصوص أخرى بشكل من الأشكال.

أنواع التناص

من خلال التعريفات التي سبق عرضها يمكننا أن نستنتج أن التناص يتحقّق في النص عندما يتضمن مجموعة من النصوص السابقة عليه، بشرط أن يحدث "تفاعل" و"تعالق" في اللفظ والمعنى بين هذه النصوص المتداخلة. والتناص بهذا المفهوم يكون تابعاً لمجموعة نصوص سابقة يتفاعل ويتعالق معها بكيفيات مختلفة، حصرها الدكتور محمد عبد المطلب في نمطين أساسين (عبد المطلب،1995): أولهما: تناص يحدث عن غير قصد من الكاتب، وهو الذي تتسرّب فيه إلى النص الأصلي ملامح أو مقتطفات من نصوص أخرى. ثانيهما: تناص صادر عن الوعي والقصد، وهو الذي يعمد فيه الكاتب إلى الإشارة للنص المستعار إشارة واضحة. وقد يكون لذلك غايات عديدة، كالاستشهاد أو المناقشة أو النقض والدحض.

ولعل من المفيد أن نذكر هنا ما يقوله الدكتور سعيد حسن بحيري كونه قريباً مما أرادنا قوله حيث يقول: "إن التناص قد يقع دون وعي، حيث يقع تشاكل أو تداخل بين الأبنية والدلالات في عقل المنتج

وذاكرته، وقد يحدث بوعي كامل حيث يقصد منتج إلى استخدام معارف سابقة اتخذت أشكالاً ومظاهر مختلفة في صياغات جديدة وأبنية مضمونية ومعرفية مغايرة، وفي كلتا الحالتين يحتاج المتلقي (المفسر) إلى ثقافة واسعة ومعارف وقدرات خاصة للتعرف على أنواع التناص أو وجوده (Intertextualism) وتحليلها وتقدير قيمتها (بحيري، 2000). ومفاد كلام الدكتور سعيد بحيري السابق أن التناص قد يقع من المبدع بوعي أو بدون وعي. ورغم تعدد تقسيمات التناص، بات من المستحيل التعرف على أنواع التناص وتحديده بشكل دقيق عند المبدع إلا حينما ندرك الاستراتيجية التي يستند إليها في بناء نصه وطريقة توظيفه للنصوص الأخرى.

النص الديني وتوظيفه في الرواية المعاصرة

وظفت الرواية العربية المعاصرة النص الديني بمصادره القرآنية، والتوراتية، والإنجيلية، بالإضافة إلى توظيف الحديث الشريف، والتراتيل الدينية، والفكر الديني، ولا سيما فكرة الخلص، والفكر الصوفي، الذي حظي باهتمام عدد من الروايات. وقد وظفت الرواية العربية المعاصرة النص الديني على مستويات عديدة، كتوظيف البنية الفنية واستحضار الشخصيات الدينية، وتصوير شخصيته البطل في ضوئها، وبناء أحداث الرواية في ضوء أحداث القصة الدينية، بالإضافة إلى التنويع في إدخال النص الديني في الرواية (وتار،2002).

يعد الموروث الديني مادة حية للخطاب الروائي الحديث نظرا لثرائه ولما يتميز من فصاحة وبلاغة، وقد استقى منه الكثير من المبدعين والروائيين في إنتاج معانيهم وإضفاء بعد عميق لتصوراتهم، إذ يجد فيه الروائي أو الشاعر على حد سواء كل ما يحتاجه من رموز تعبر من قضايا مختلفة فهو مادة راسخة في الذكرة الجمعية لعامة المسلمين بكل ما يحويه من قصص وعبر، ناهيك عن الاقتصاد اللفظي والغنى الأسلوبي اللذين يتميز بهما الخطاب القرآني (البادي، 2008). ويمكن وراء توظيف النص الديني في الرواية العربية المعاصرة، دافعات هما: أن التراث الديني، في قسم منه، هو تراث قصصي، لذا وجد بعض الروائيين أن تأصيل الرواية العربية يقتضي العودة إلى الموروث السردي الديني، والإفادة منه في التأسيس لرواية عربية خالصة. وأن التراث الديني يشكل جزءاً كبيراً من ثقافة أبناء المجتمع العربي، لذا فإن أي معالجة للتراث الديني هي معالجة للواقع العربي وقضاياه.

التناص الديني

يعني التناص الديني استحضار الشاعر أو الروائي بعض القصص أو الإشارات التراثية الدينية وتوظيفها في سياقات القصيدة أو الرواية لتعميق رؤية معاصرة يراها في الموضوع الذي يطرحه أو القضية التي يعالجها. ويفترض في هذه التناصات أن تنسجم مع النص الجديد وتعمقه وتثرية فنيا وفكريا، والتناص والاقتباس والتضمين من التراث أساليب فنية توظف لبلورة الحاضر من خلال تجربة الماضي وتستحضر لتعزيز موقف

الكاتب من الرؤى والمفاهيم التي يطرحها أو يثيرها في نصه (الزعبي،2000). وتتعدد مصادر التناص الديني في المقامات فنجد:

التناص مع القرآن الكريم:

وهذا النوع من التناص يقوم على استحضار بعض آيات من القرآن الكريم وتضمينها في نص المقامة (محمد،2009). ومن البديهي أن القرآن الكريم بالنسبة إلى المسلمين هو المعلم الأول والمنبع الذي يستسقون منه أفكارهم ومبادئهم. والمقصود بالتناص مع القرآن الكريم هو: "التفاعل مع مضامينه وأشكاله، تركيبياً ودلالياً، وتوظيفها في النصوص الأدبية بواسطة آلية من آليات شتى، ويعد هذا النوع جزءا مما يُسمى بالتفاعل معا التراث الديني بأنماطه المتعددة" (واصل، 2010).

التناص مع الحديث النبوي الشريف:

يقوم هذا التناص على استحضار الحديث النبوي الشريف، أو جزء منه في النص(واصل، 2010). والجدير بالملاحظة هنا أن الحديث النبوي الشريف يأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث استشراق العبارة وفصاحة اللفظ وبلاغة القول، ومن أبرز سماته بلاغة الإيجاز، وأدرك الأدباء العرب المعاصرون أهمية الحديث النبوي فنياً وفكرياً فراحوا يستحضرونه في نصوصهم وينهلون منه، ويعيدون كتابته مع ما يتماشى مع تجربة كل أديب. أضف إلى ذلك، إن الحديث النبوي الشريف جزء لا ينفصل عن القرآن الكريم حيث إنه يقوم بتفسير معاني الآيات القرآنية وشرحها ودلالتها.

وبناء على هذا، فإن الروائي تقاطع من خلال روايته مع الحديث النبوي الشريف، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على إعجاب وحب الأديب للرسول صلى الله عليه وسلم ولرسالته، كما أن ذلك يخدم نصه تركيبيا فنيا وجماليا أو أنه يتناسب مع الحادثة أو المقام الذي هو بصد إيصاله للقارئ. عند هذا الحد نكون قد أوضحنا شيئاً ذا بال عن ظاهرة التناص بشكل موجَز، والآن نذهب إلى تلخيص سريع لأحداث الرواية ليتسنّ للقارئ أن يكوِّن إطاراً عاماً لموضوعها وفكرتها ورؤيتها. وقد يجعل هذا التلخيص قراءة البحث نفسه أكثر جدوى ووضوحاً في ذهن القارئ.

من أنواع التناص الذي كثيراً ما يرجع إليه الأدباء المسلمون التناص الديني حيث يشكل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف منهلا عذبا ينهل منه الشعراء والكتاب مادتهم ويقتبسون منه، إما على مستوى الدلالة والرؤية أو على مستوى التشكيل والصياغة، ما يخدم نصهم وهذا لما للآيات القرآنية أو الأحاديث الشريفة منزلة رفيعة في دين الإسلام. وبناءً على افتراض أن رواية "القاهرة الجديدة" لنجيب محفوظ قد تتداخل بشكل كبير مع النصوص من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فجاء هذا البحث محاولة استجلاء ظاهرة التناص الديني في الرواية ليساعد القارء على قراءة الأعمال الأدبية لنجيب محفوظ واستيعابها

وتفسيرها بشكل أكثر فعالية.

منهجية البحث

وقد اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي، فقام بوصف ظاهرة التناص الديني وصفاً دقيقاً ملقيا الضوء على استحضار التناص الديني في رواية "القاهرة الجديدة" لنجيب محفوظ ودراسة وظيفته الموضوعية والفكرية وتوضيح دواعي استخدامه ومسوغات الاستشهاد لدى مؤلف الرواية، ويلي هذا الوصف دراسة تحليلية لنماذج اللتناص الديني في الرواية وذلك بعد إحصائها ثم قراءتها قراءة تحليلية بناء على هذا الإحصاء.

المضمون العام للرواية

تقدّم رواية "القاهرة الجديدة" عرضًا موجزًا للحياة المصرية في الثلاثينيات مع التركيز على فقرها وفسادها. إنها "القاهرة" للطبقات الوسطى التي نشأت في ظلّ الفساد البريطاني وتعكس التناقضات في النظام الاجتماعيّ والاقتصاديّ للمدينة وأكثر من ذلك داخل الشخصيات الفردية. ولعل ما يستلفت النظر أن "نجيب محفوظ" قد حاول في هذه الرواية طرح قضايا اجتماعية ورسم صورة واضحة عن البنية الفكرية للشباب في تلك الفترة التاريخية حيث تدلّ شخصية "محجوب عبد الدايم" على البعد الاجتماعي للقضايا كما أن شخصية "مأمون رضوان" تدل على الاتجاه اليميني وتدل شخصية "على طه" على الاتجاه اليساري وترمز شخصية "أحمد بدير" إلى جماعة من الشباب غير المنتمين إلى أي اتجاه ولا يهتمون بعرض فكرة واضحة تجاه ما يجرى (ترابي،2014).

تحكي الرواية قصة (محجوب عبد الدايم) شاب مصري طموح غير مؤمن بشيء غير تحقيق نفسه وتحقيق اللذة. كان محجوب يعاني الفقر المدقع، وكان أبوه فلاح يقدم له مصاريف الجامعة، وشاءت الأقدار أن يسقط ويمرض أبوه ويفقد عمله بسبب الشلل فاضطر محجوب للبحث عن وظيفة في الأشهر الأخيرة من العام الدراسي من تخرجه فذهب إلى شخص اسمه قاسم بك وهو من كبار العائلات، وأيضا قريب أمه، فيتعرف على ابنته تحية التي فشل معها بسبب حمقه وتسرعه ولم يستفد من هذه القرابة بشيء، فيتذكر شخص آخر اسمه سالم الإخشيدي وكان يعرفه من أيام الجامعة. ففي هذه الأثناء يواصل البحث عن وظيفة، فيدلّ الإخشيدي محجوب على وظيفة في الصحافة التي فتحت الأبواب لطريقه، ثم يخبره بأنه سيرفعه في عمله مقابل الزواج من فتاة يعرفها ليغطي غلطة "قاسم بك" وهو أحد الوزراء والمسؤولين في الحكم، وكان يقاسمه كذلك فيها حتى بعد زواجه منها، فقبل لأجل الوظيفة والمال الذي كان في حاجة ماسة إليه، وعندما تأتي العروس يفاجئ أنها إحسان التي طالما تمناها واحتقرته في الوقت الذي كانت فيه مع علي طه، ها هي تركت علي والعفة التي كانت تملكها بسبب والديها اللذين دفعاها إلي الهاوية وشجعاها على هذا الطريق

فقبلت وضع زوجة رجلين محجوب وقاسم الأول لستر فضيحة الثاني صاحب الجاه والمال، وبهذا الوضع بقي محجوب كل مرة في ترقية حتى دبت الغيرة إلى الإخشيدي الذي كان سببا فيما وصل إليه، فطلب من محجوب الترقية، فرفض طلبه واعتبره غباء منه، فغضب سالم الإخشيدي وأرسل الخبر إلى والدي محجوب الذي طالما كذب عليهما بأنه مازال في معاناة الفقر، وبعث رسالة أخرى إلى زوجة قاسم بك في نفس اليوم الذي يذهب فيه قاسم بك إلى إحسان، فحضر والد الأول ثم زوجة قاسم الثانية فكشفت الوضع المخزي لهما فأدى ذلك إلى نهاية كلا الرجلين قاسم خسر وظيفته وزوجته ومنصبه ومحجوب فقد كرامته أمام والديه وأصدقائه وكان أشدهم ألما علي طه الذي تأسف علي حال صديقه محجوب وإحسان التي عاش معها أسعد اللحظات. وهكذا انتهت الرواية بعقاب الشخصيات المذنبة مثل محجوب وقاسم ومكافأة الشخصيات المستقيمة مثل علي طه بوظيفة محترمة ومأمون رضوان بالدكتوراه وتحقيق حلمه وبقي أحمد بدير صحافي كما بدأ، أما إحسان فرجعت إلى أصلها مثل أبويها (عائشة، 2014).

ويخلص البحث من هذا كله: أن رواية "القاهرة الجديدة" قدّمت حياة المجتمع المصري في الثلاثينيات من القرن الماضي مسلطة الضوء على جوانب مختلفة من حياة المجتمع المصري منها الفقر والرشوة، ومصورة لحياة بشكل رائع لحياة أبناء الطبقة الوسطى في القاهرة وغير ذلك من القضايا الاجتماعية والاقتصادية التي تواجه المجتمع المصري في ظل الاحتلال البريطاني. يتناول هذا البحث، بعد التطرّق إلى الإطار النظري، الدراسة التطبيقية التحليلية لنماذج التناص الديني التي تتضمنها رواية "القاهرة الجديدة" لنجيب محفوظ، ودراسة دواعي استعماله وبلورة وظيفته الفنية والفكرية في الرواية.

التناص مع القرآن الكريم في رواية "القاهرة الجديدة"

للتناص القرآني دور فاعل في قراءة النص وتفسيره، فهو لا شك يثري الرواية ويزيد معانيها قوة سواء أكان تناصا مباشرا أي اقتباسا بذكر الآيات ذكرا صريحا أم كان تناصا غير مباشر بالتلميح، أي بالإشارة إلى معاني الآيات وبعض ألفاظها، ونعرض هنا عدة نماذج التناص القرآني في رواية القاهرة الجديدة:

النموذج الأول:

ويتناص حديث الأديب نجيب محفوظ مع آيات القرآن الكريم ويأتي هذا ضمن حديثه الذي يقول فيه واصفا مأمون رضوان:

"فكان شابا عظيما، وإن أخفق أن يكون محبوبا، لأن تفوقه مثار لحسد الحاسدين، وسلوكه احتقار صامت لحياة الآخرين، ثم إنه لم ينج من ميل للوحدة تأصل في طبعه منذ عهد مرضه العصبي الطويل، هذا إلى جهل

بأصول اللباقة الاجتماعية، ونكران لروح الفكاهة، وولع بالصراحة جعلت من حديثه أحيانا سوط عذاب". وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾.

نفهم من سياق الرواية أن "مأمون رضوان" شابّ عظيم، وإن لم يكن محبوبًا على نطاق واسع، وذلك أن نجاحه جعله هدفًا للحسد، لدرجة أن طريقة حياته كانت احتقاراً صامتًا للآخرين. أضف إلى ذلك أن جهله بمبادئ المجتمع، وافتقاره إلى الفكاهة، وميله للصراحة يحوّل تعليقاته إلى ضربة مؤلمة للآخرين في بعض الأحيان. فنجد هنا أن الأديب الكبير نجيب محفوظ استحضر تعبير "سوط عذاب" قصدَ الإشارة إلى إيقاع العذاب بمن يحيط بهم ويخاطبهم نتيجةَ صراحته في القول فحديثه الصريح الذي لا يتّسم بشيء من اللباقة الاجتماعية جعل منه سوط عذاب للآخرين.

النموذج الثاني:

يستحضر الأستاذ نجيب محفوظ من خلال النص الآتي نصا من سورة الملك في سياق كلامه عن شخصية مأمون رضوان. فيقول:

"واليوم يشغل العلماء بالتفكير الديني ويرد رجال الدين شرائع العلم والفلسفة، فطوبى للشباب الفيلسوف المؤمن! غير أن شاب الجيزة تغير عما كان عليه فتى طنطا المصاب، صار أوسع صدرا وأرحب فهما، أمكنه أن يصغي إلى مجون محجوب عبد الدائم مبتسما، وأن يناقش علي طه في قيمة الدين والإلحاد، وأن يتلقى صابرا سهام الناقدين والساخرين، إلا إذا احتد واتقدت عيناه وعزّته تلك اللحظة الرهيبة، فهناك يرتد عنه البصر وهو حسير!".

يتضمّن النص السابق تناصا مع سورة الملك متمثلاً في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾.

فقد اختار الأستاذ نجيب محفوظ هذا التناص في سياق حديثه عن شخصية مأمون رضوان الطالب الجامعي الذي أصبح أكثر انفتاحاً عما كان عليه في أيامه الخالية، ففتى الجيزة تغير عما كان عليه فتى طنطا المصاب. فقد صار أوسع صدرا وأرحب فهما، ولمَ لا، فقد صار يتحمّل من الكلام ما لم يكن يستطيع تحمله في أيامه السابقة للجامعة. صار يصغي إلى مجون محجوب عبد الدائم وهو مبتسم، وأصبح يناقش علي طه في قيمة الدين والإلحاد. صار يتلقى سهام الناقدين والساخرين صابراً إلا في لحظات قليلة لا يستطيع فيها أن يقف صامتاً أمام التجاوزات وذلك ساعة غضبه الشديد حين تحتد وتتقد عيناه. ففي تلك اللحظة الرهيبة يرتد عنه البصر وهو حسير ويعود إلى شخصية مأمون القديمة التي لا تتحمّل النقد اللاذع ولعل ما يفسر ذلك أن الفتى لم يخل من تعصب وحدّة نتيجةَ تلك العزلة وتلك التجربة القاسية التي عاشها صغيراً حين أصيب بمرض أقعده عن اللحاق بالمدرسة حتى الرابعة عشرة بل كانت تعتريه لحظات قسوة جنونية تنضب

فيها خصوبة نفسه، فينطلق كلسان من لهب يلقف ما يلقاه ويلتهم ما يتصدى له. فيبحث عن مخرج لتلك الحالة النفسية التي تنتابه أحيانا " فيضاعف العمل إن كان يعمل أو يستغرق في العبادة إن كان يعبد أو يحتد في النقاش إن كان يناقش، أو تعلوه الكآبة والانقباض إن كان يعتزل". وهذا كله يفسر خروجه عن أصول اللباقة الاجتماعية في تلك اللحظات الرهيبة التي يحتد فيها على من يتناقش معه. هذه اللحظات القاسية الجنونية التي تنضب فيها خصوبة نفسه، فينطلق كلسان من لهب يلقف ما يلقاه ويلتهم ما يتصدى له على حد تعبير الأستاذ نجيب محفوظ.

النموذج الثالث:

يتقاطع نص الرواية أيضا مع النص القرآني وهذا يمكن أن نلاحظه من خلال الحوار بين إحسان شحاتة وعشيقها علي طه. أما الحوار فيتمثل في:

"مجدولين، آلام فرتر، آلام رفائيل، تلك آيات الفن الذي أحبه. قالت ذلك بلهجة من يقول: لكم دينكم ولي ديني."

فالنص هنا متمثلاً في قول الأستاذ نجيب محفوظ، شارحاً عبارة إحسان شحاته "لكم دينكم ولي ديني"، يتقاطع مع الآية القرآنية من سورة الكافرين: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ .

وقد جاءت الآية لتوضّح أن هناك فرقا شاسعا بين رؤية إحسان شحاتة للفن ورؤية علي طه فلكلّ منهما وجهة نظر في هذا الأمر تختلف عن الآخر حيث ترى إحسان أن محتوى الكتاب الذي أعارها إياه علي طه هو الأفكار والآراء وهي تبحث في الكتب عن الحياة والعاطفة لا عن الأفكار والآراء. فيحاول علي طه إقناع إحسان شحاتة بأن الحياة هي الأفكار والعواطف ولكن محاولته باءت بالفشل؛ لأن الفتاة ما تزال متمسكة برأيها. وأضافت أن الموسيقي هي مقياس الفن الحقيقي وتعد أعمالًا من نحو مجدولين، آلام فرتر، آلام رفائيل، أعمالا فنية حقيقية. فيستثمر الأديب نجيب محفوظ النص القرآني متمثلاً في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ليدلنا على مدى تمسك إحسان شحاته برأيها.

التناص مع الحديث النبوي الشريف في رواية "القاهرة الجديدة"

لا يخفى على أحد أن استحضار الأحاديث النبوية الشريفة وتوظيفها في الرواية يعد من أفضل الوسائل الثرية والمؤثرة التي تساعد على إظهار قوة النص؛ وذلك راجع إلى طبيعة النص الديني والقدسية التي يمثلها وكذا مراعاة الناس به متمثلا في حفظه وتذكره. وانطلاقا من هذا، نلحظ حضورا لا بأس له للتناص مع الحديث النبوي الشريف في رواية.

النموذج الأول:

يلتقي نص الرواية مع حديث رسول صلى الله عليه وسلم ويتقاطع السرد والحديث في اللفظ والمعنى بتصرف يسير حيث جاء على لسان بطل الرواية محجوب عبد الدائم حيث يقول: "إن أجمل حكمة هي التي تقول: (إذا خلا رجل بامرأة كان الشيطان ثالثهما) فأين هذا الشيطان ليجثو بين يديه، ويلثم قدميه؟ طالما كان للشيطان تابعا ومريدا أفلا يجزيه الشيطان عطفا بإخلاص؟! "

وهنا يلتقي النص مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا لا يخلُوَنَّ رجلٌ بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان) .

نفهم من سياق النص أن محجوب عبد الدايم كان يصطحب «تحية» بنت «أحمد بك حمديس» قريبة والدته إلى الحفريات في الجامعة وكانا يذهبان إلى هناك بسيارتها الفخمة. ولما كان وحيدًا مع الفتاة في السيارة، شعر بالإثارة واندلعت شهواته الشيطانية وذلك لأنه لم يسبق له أن خلا بفتاة جميلة تستحق أن توصف بالأنوثة حقا كما يصفها هو.

فاستحضر الأستاذ نجيب محفوظ الحديث النبوي هنا ليشير إلى حقيقة فحواها أن محجوب عبد الدائم كان معترفا بوجود الشيطان في تلك اللحظة فكيف لا وهو من أتباع الشيطان لفترة طويلة ويتوقع من سيده وقتئذ أن يجزيه شيئا عطفاً بإخلاصه ووفائه له وهي فرصة التحرش بـ «تحية» بنت «أحمد بك حمديس» قريب والدته رغم أن الفتاة كانت طفلة حملها على يده في الماضي ولعب معها وهو في الثامنة من عمره.

النموذج الثاني:

أما الشاهد الثاني فيأتي في حوار بين محجوب عبد الدائم وشاب غريب عنه التقاه في حانة، والحوار على النحو التالي:

"فقال محجوب متحيرا وهو يقبض على كأسه:

– لا أكاد أفهم شيئا ...

– ولا أنا ! .. في مجلس الأنس، كما في مجلس النواب، ليس بالمهم أن تفهم ما يقال، ولكن المهم أن تتكلم.

– كيفما اتفق ؟؟

– وكيفما أحببت ... !

– ولذه الاقتراح، فطرح التفكير ظهريا، وراح يقول وقد احمرت عيناه الجاحظتان من الشراب:

– أنا في الحجرة والكبش في الحقل ..

– كتب محمد الدرس ..

– اعمل لدنياك كأنك تموت غدا، واعمل لآخرتك كأنك تعيش أبدا.

– ولكنك لن تعيش أبدا، وربما لم تعش حتى مطلع الصباح، لأنك تفرط في الشراب ..."

يحيلنا كلام محجوب عبد الدايم وخصوصا جملته "اعمل لدنياك كأنك تموت غدا، واعمل لآخرتك كأنك تعيش أبدا" إلى الحديث النبوي الشريف: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً".

وهنا ومن خلال هذه العلاقة التناصية استطاع الأستاذ نجيب محفوظ أن يشير إلى حالة الاضطراب التي يحياها محجوب عبد الدائم وتلك اللحظات الصعبة التي يعيشها في وقت يعلم فيه أن قاسم بك يزور بيته ويحيا مع زوجته حياة الأزواج، ويتجلى ذلك ظاهرا في الرواية في قوله: "إنه ينتقد ويحلل ويحطم، ولكن وراء ذلك تتخايل لعينيه أشباح مخيفة: سيارة تقف أمام عمارة شليخر، ينزل منها البك الأنيق، المصعد، الجرس، باب الشقة يفتح، مساء الخير أيها العروس .. جاء زوجك الطبيعي، ثم .. كيفا تلقاه؟ في نفس الحجرة وعلى نفس الفراش .." . لذلك كله، فلا معنى لكلام محجوب عبد الدائم في ظل هذا السياق وهذا الجو الذي يحياه إلا الهذيان. هذا ويعطي إحضار الحديث النبوي الشريف قيمة خاصة للنص الروائي في تكوين دلالاته وتأثيراته، ويصبح النص إشارة حرة غير مقيدة بالنص الأصلي.

النموذج الثالث:

في سياق حديث محجوب عبد الدائم ومغامرات قلبه وأنه ليس خيرا من فتاته نجده يقول مخاطباً نفسه: "لست خيرا منها فهي جامعة أعقاب سجائر وأنا جامع أعقاب فلسفة، ثم إني في نظر المجتمع شر منها!". هكذا ساخرا من نفسه وقائلا لها متعزيا: "من تواضع لله رفعه".

يوظف الأستاذ نجيب محفوظ هذا الحديث النبوي الشريف في تناص معه ليثبت ويؤكد المعنى الذي ذهب إليه محجوب عبد الدائم واعترافه بينه وبين نفسه أنه ليس خيرا من فتاته وأنها ليست شرا منه.

ونص الحديث الذي تتقاطع معه عبارة "من تواضع لله رفعه" قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً رَفَعَهُ اللهُ دَرَجَةً، حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي عِلِّيِّينَ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللهِ دَرَجَةً، وَضَعَهُ اللهُ دَرَجَةً، حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ". وكذلك تتقاطع مع قول صلى الله عليه وسلم الذي روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ، إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ – عز وجل". وتتقاطع أيضاً مع قوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا وَلَا يَبْغِي بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ".

التحليل الإحصائي لظاهرة التناص الديني في رواية "القاهرة الجديدة"

لقد حدّد الباحثون أعداد ظاهرة التناص الديني التي تم توظيفها في رواية "القاهرة الجديدة" بعد تصنيفها في

الجداول الإحصائية. وفيما يأتي جدول إحصائي لهذه الظاهرة، وترتيب العدد الأكثر وروداً لكل نوع:

الجدول الرقم (1):

التحليل الإحصائي لآليات التناص التي تم توظيفها في رواية "القاهرة الجديدة"

الرقم	أنواع التناص	العدد	النسبة المئوية (%)
1	التناص مع القرآن الكريم	22	88.00
2	التناص مع الحديث النبوي الشريف	3	12.00
المجموع الكلي		25	100

لقد توصّلت هذه العملية الإحصائية إلى نتائج تتمثّل في النقاط الآتية: تبيّن أن المجموع الكلي للتناص مع القرآن يبلغ 22 موضعاً بنسبة (88.00%). ويخلص الباحثون أن التناص القرآني من أكثر أنواع التناص استعمالاً وشيوعاً في رواية "القاهرة الجديدة". بينما وجد البحث أن هناك حضورا لا بأس له للتناص مع الحديث النبوي الشريف في رواية "القاهرة الجديدة" بنسبة (12.00%). وهكذا يتبيّن من العرض السالف عدد توظيف التناص الديني في رواية "القاهرة الجديدة". ومن ذلك الإحصاء يكون المجموع الكلي لنماذج التناص الديني الواردة في الرواية 25 موضعاً.

الخاتمة

يتضح من هذه الدراسة أن الأديب الكبير الأستاذ نجيب محفوظ قد عمد إلى التشرّب من النصوص الدينية باعتبارها مرجعيات تضفي للرواية أصالة يتصل بالواقع الاجتماعي والعنصر التخيلي الذي تقدمه الرواية، فهو على وعي تام وإلمام كامل بالدلالات من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف التي وظفها، وهذا ما ساعده في نسج أحداث الرواية بإحكام وربطها بالواقع الاجتماعي. وجملة القول فإن الكتابة الروائية في حاجة ماسة إلى مثل هذه الحيوية الأدبية من تداخل وتمازج بين النصوص.

قد استخلص البحث تعريفا ومفهوما يرتضونه من خلال التعريفات الكثيرة للتناص وهو: إن التناص هو تكرار وتداخل وتقاطع بين النصوص أو لوحة من الاقتباسات، أو سلسلة من العلاقات مع نصوص أخرى، أو نسيج من استشهادات سابقة. تبيَّن من البحث أن هناك حضوراً وافراً من الآيات القرآنية التي تشرّبتها رواية "القاهرة الجديدة" على مستويات الأحداث والسرد حيث يبلغ عدده 22 موضعاً بنسبة (88.00%). ويخلص الباحثون من ذلك أن التناص القرآني من أكثر أنواع التناص استعمالاً وشيوعاً في رواية "القاهرة الجديدة" لما له من قوة بلاغية تظهر تبعا للمقامات التي يرد فيها إذ إنه مميز بالإيجاز وكثافة

لمعنى وعمق الدلالة.

كما وجد البحث أن هناك حضورا لا بأس له للتناص مع الحديث النبوي الشريف في رواية "القاهرة الجديدة" بنسبة (12.00%) حيث يأتي معززا ومكثفا لدلالات الكلمات والمعاني التي يطرحها الروائي من خلاله روايته فالاستعانة بالأحاديث النبوية الشريفة تجعل العبارات ذات معان فياضة تزخر بالدلالات وتفتح أكثر من طريق للتأويل والتحليل. لقد تأثر الأستاذ نجيب محفوظ تأثرا كبيرا بالثقافة الإسلامية حيث وظف العديد من النصوص الدينية من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في رواية "القاهرة الجديدة" بشكل كبير على مستويات الأحداث والسرد قصد إثراء النصوص الروائية لإنتاج دلالات جديدة.

استحضر الأستاذ نجيب محفوظ النصوص القرآنية، فاقتبس تارة الآية كما وردت في القرآن الكريم، وتارة أخرى يقتبس المعنى مغيرا في البنية اللفظية للآيات. وهذ يضفي على الرواية "القاهرة الجديدة" نوع من القداسة في نظر القارئ العربي. أن الكتابة الإبداعية في حاجة ماسة إلى مثل هذه الحيوية الأدبية من آلية تداخل واختلاط النصوص المعروفة بالتناص لأنها أداة مهمة وعملية لكل من المبدعين والقراء. إن التناص هو آلية مهمّة من آليات فهم النص وقراءته وتفسيره، ويُنصح قارئ النص أن يفهم ذلك حال تعامله مع النصوص وإلاّ غاب عنه كثير من جوانب النص.

يُفضل توسيع نطاق البحث لاستكشاف كيفية تأثير التناص الديني في روايات أخرى لنجيب محفوظ، مما يعزز فهمنا لاستخدامه المتكرر للنصوص الدينية وتطور أساليبه في هذا السياق. يُقترح إجراء مقارنة بين تناص "القاهرة الجديدة" وروايات أخرى تحمل نفس السياق الديني، مما يساعد في تحديد التفاوتات والتشابهات في استخدام التناص الديني وتأثيره على الرواية. يمكن إجراء دراسة أكثر تفصيلاً حول كيفية تأثير التناص القرآني والحديث النبوي على تطور الشخصيات في "القاهرة الجديدة"، وكيف يسهم ذلك في بناء الطابع الديني للرواية. يُقترح توسيع البحث لاستكشاف آراء النقاد والمفكرين حول استخدام التناص الديني في رواية "القاهرة الجديدة"، وكيف أثر هذا الأسلوب على استقبال العمل من قبل الجمهور. يمكن إجراء تحليل أعمق لتأثير التناص الديني على هيكل السرد في الرواية، وكيف يساهم في توجيه اتجاهات الحبكة وتطور الأحداث، مما يساعد في تحليل الدور الفعّال للتناص في بناء البنية الروائية.

المصادر والمراجع

Abdal-Muṭṭalib, M. (1995). *Qaḍāyā al Ḥadāsath ‘inda ‘Abd al-Qāhir al-Jurjānī*. Beirut: Maktabah Lubnān Nāshirūn.

Abdal-Rāḍī, A. M. (2008). *Naḥw al Naṣ baina al ‘Aṣālah wa al Ḥadāthah*. 1st. ed. Cairo: Maktabah al Thaqāfah al Dīniah.

Afīfī, A. (2001). *Naḥw al Naṣ Ittijāh Jadīd fī al Dars al Naḥwī*. 1st ed. al Qāhirah: Maktabah Zahrā’ al Sharq.

Aḥmad, A. A. A. L. (2005). “Al Ṭanās fi Riwāyat Ilyas khūrī”. Master's Thesis, An-Najah National University.

Al Bādī, Ḥiṣṣa. (2008). *Al Ṭanāṣ fī al Sy’ir al ‘Arabī al Ḥadīth*. Oman: Dār Kunūz al Ma’rifah.

Al-Maruzi, A. Y. I. (1991). *Musnad Isḥāq Ibn Rahwayh*. Madinah: Maktabah al Īman.

Al-Shāfi’ī, A. A. M. B. I. (tt). *al Musnad*. Lebanon: Dār al Kutub al ‘Ilmiah .

Al-Shaybani, A. A. (2001). *Musnad al Imām Aḥmad bin Ḥanbal*.1st ed. N.P: Muassasah al Risālah.

Baqsha, A. Q. (2007). *Al Ṭanāṣ fī al Khīṭāb al Naqdī wa al Balāghi: Dirāsah Naẓariah wa Taṭbiqiah*. Magrib: Afrīqia al Sharq.

Beaugrande, R. (1998). *al Naṣ wa al Khiṭāb wa al Ijrā’*. Trans: Tammām Hassān. 1st. Cairo: ’Ālam al Kutub.

Bhuiya, M. H. A. (2015). Analytical Study of Naguib Mahfouz Novel al Qahira al Jadida, *International Journal of Humanities & Social Science Studies*, 1(4).

Biwālṭīn, Ḥ. (2015). “Al Ṭanas fī al Riwāyah al Jazāiriah: Riwāyah Amīn al ‘Ilwānī li Faiṣal al Aḥmar Namuzajan". University of Jijel.

Buḥairī, S. Ḥ. (2000). “Ittijāhāt Lughawiah Mu’āṣirah fī Taḥlīl al Naṣ”. Majallah ‘Alāmāt fī al Naqd. *al Nādī al Adabī al Thaqāfī bi Jaddah*, 10(38). 133-222.

Dāgir, S. (1997). “Al Ṭanāṣ Sabīlan ila Dirāsah al Naṣ al Syi’rī”. *Majallah al Fuṣūl al Qāhirah,* January, 124-146.

Ḥassān, T. (1995). Naḥw al Jumlah wa Naḥw al Naṣ. Text of a lecture given at the Arabic Language Institute in Umm Al-Qura Mecca during the summer cultural season.

Kristeva, J. (1997). *’Ilm al Naṣ* (2nd ed.). (‘Abd al Jalīl Nāẓīm, Trans.). 2nd ed. Morocco: Les Edition Toubkal. (Original work published 1969)

Maḥfūz, N. (2016). *al Qāhirah al Jadīda*. 4th ed. al Qāhirah: Dar al Syuruq.

Muḥammad, I. S. (2009). *‘Ilm Lughah al Naṣ: Al Naẓariah wa al Ṭatbiq*. 1st ed. Cairo: Maktabah al Adab.

Turābī, A. Q. & Wasīdī, S. H. (2014). “Riwāyāt Najīb Maḥfūz fī Ḍau’ al Naqd al Ijtimā’ī Ma’a ‘Ināyah Khaṣṣah bi Riwāyah Awlād Ḥāritnā”. *Majallah ‘Iḍā’āt Naqdiah*.

4(13). 125 – 146.

‘Umar, A. M. (2008). *Mu’jam al Lughah al ’Arabiah al Mu’āṣirah*. 1st ed. al Qāhirah: ’Ālam al Kitāb.

Usāmah, A. M. I. A. (1992). *Bughyah al Bāhith ‘An Zawāid Musnad al Ḥārith*. Madinah: Markaz Khidmah al Sunnah wa al Sīrah al Nabawiah.

Wattār, M. R. (2002). *Tawẓīf al Turath fī al Riwāyah al ‘Arabiah*. Damaskus: Ittiḥād al Kitāb al ‘Arab.

Zahrā’, F. & Sa’īd, M. (1999). *Sambulisim dir athar najib mahfuz*. Trans: Najmah Rajāī. n.p. Ferdowsi University of Mashhad.

Zawāriq, A. (2015). “Al binyah al Zamkāniah fī Riwāyah al Qāhirah al Jadīdaj li Najīb Maḥfūz”. University Mohamed Boudiaf M'sila.

Zu’bī, A. (2000). *al Tanāṣ Naẓarian wa Taṭbiqian*. Oman: Muassasah ‘Amūn li al Nashr.